

## الواحات المصرية

## الداخلة والخارجة

الواحة واصلها بالمصرية القديمة "أوت" أرض زراعية مسكونة في وسط الصحراء. والواحات كثير في صحراء افريقية الكبيرة كواحة سيوى والواحة البحرية والواحين الداخلة والخارجة. الأولى منها في الجهة الشمالية على ثمانية أيام الى ١٥ يوماً من القطر المصري حسب الطريق التي يختارها الذهاب. واقصر الطرق الذهاب بجزراً الى مرسى مطروح ثم السير في الصحراء نحو ٥ أيام. وبقية الواحات تابعة لمديريات الوجه القبلي. وكلامنا الآن محصور في الواحين الداخلة والخارجة وهما تابعتان لمديرية اسيوط الخارجة تبعد مسيرة ٤ او ٥ أيام من اسنا والداخلة تبعد عن الخارجة مسيرة يوم غرباً.

وتاريخ الواحات غامض جداً غير ان ذكرها في الكتابات القديمة يدل على ان الناس اكتشفوها وسكنوها منذ زمان طويل. قرأ بروكش في كتابة قديمة وجدت في قصر بنتهي تاريخها الى السنة الخامسة والعشرين من ملك بينم الاول (سنة ١٠٣٣ قبل المسيح) ان الواحات كانت منتهى للعجميين فقد جاء في هذه الكتابة ان بينم معج لبقية حرب رعميس (وكانوا قد فنوا اليها) بالرجوع. وسكان الواحات الاصليون كانوا غرباء عن مصر لكنهم كانوا يوردون الجزية الى ملوكها منذ ايام تحنسن الثالث (سنة ١٦٠٠ ق م) على الاقل. وارسل اليها رعميس الثاني حامية في القرن الرابع عشر قبل المسيح وبعد ذلك بنحو قرن ابتدأ سكانها يزرعون الكروم وكانت خمرها فاخرة جداً. وفي ايام الملك منتاح الذي خلف رعميس هجم اهالي ليبيا على مصر من طريق الواحات.

واشار هيرودوتس الى الواحة الخارجة في كلامه عن التجربة التي ارسلها كيميس ملك الفرس الى واحة سيوى وهلك منها خمسون الفا فقال "ان عاكو كيميس وصلت بعد مسيرة سبعة ايام في الرمال من طيبة الى مدينة الواحة التي يقال لها جزيرة المطربين". وفي الواحات آثار كثيرة يونانية ورومانية يستدل منها ان الواحة الخارجة كانت تحت امر حاكم عسكري تابع لقاطعة طيبة وانها كانت محطة عسكرية على الطريق بين مصر والولايات الرومانية. في شمالي افريقية.

وورد ذكر الواحات في كتب جغرافي العرب كاليقوبي والمقريزي وغيرهم ويستدل من كلامهم عنها انها كانت قد فقدت في ايامهم كثيراً من شأنها السالف. واول من زار الواحة

الخارجة من المتأخرين بنه سنة ١٦٩٠ وبيرون سنة ١٧٩٣ وبروكش سنة ١٨٧٤ ووشونيفرت وغيرهم. وزارها حديثاً كثيرون من موظفي الحكومة المصرية وبعض موظفي مصلحة المساحة الجيولوجية فشرروا عنها التقارير الضافية خصوصاً فيما يتعلق بالوجهة النبية كاقليمها وطبقات ارضها وظواهرها الجوية وحيواناتها ونباتاتها

وفي ما نشره عنها امور كثيرة لا تحل من لذة وفائدة خصوصاً وان هذه الواحات تابعة لمصر ولا يعرف المصريون عنها الا اسمها مع انها ذات خيرات وفيرة ومعادن كثيرة . فالواحة الخارجة تبعد نحو ١٨٠ كيلومتراً عن اسنا الى جهة الغرب طولها من الشمال الى الجنوب نحو ١٥٠ كيلومتراً وعرضها من الشرق الى الغرب نحو ٤٠ كيلومتراً . والطريق اليها من وادي النيل واسعة مطروقة فيها كثير من عظام الحيوانات التي هلكت فيها وعلى جانبيها تلال صغيرة يستدل بها المسافرون على المسافة التي قطعوها . والصحراء بين مصر والواحات صحيرية قاحلة وليس فيها ماء مطلقاً ولا ينبت فيها نبت يذكر

والواحات نفسها منخفضة من الارض وسطحها غير مستو او هو مخزي قاحل الا حيث توجد المياه . وخصب هذه الاراضي ناتج من المياه التي في طبقاتها السفلى فحينما وجدت منفذاً طبيعياً او حيثما حفر الناس آباراً ارتوازية رفعها الضغط الذي عليها الى وجه الارض . وصناعة حفر هذه الآبار في الواحات الخارجة والداخلة قديمة جداً منذ ايام الرومانيين ثم فقدت مدة طويلة ولم تعد الا في هذا القرن والفضل في ذلك لرجل فرنسي اسمه ايمه رأى الاهالي يجحون حفر الآبار الارتوازية فاذا طوت احدى آبارهم القديمة لم يمكنهم ان يحفروا غيرها فاستحضر آلة حفرها واستأذن محمد علي باشا في نقلها الى الواحات . واقام اولاً في الواحة الخارجة وأسس معملًا للنيلة ولا استخراج الشب والشب كثير في تلك النواحي . وفي السنة التالية اخذ معه آلة الحفر وانتقل الى الواحة الداخلة . وقد أرسل بعد ذلك الى الواحات خمس آلات لحفر الآبار احداها اهديت من المغفور له الخديوي السابق الى الشيخ السنوسي

واراد سعيد باشا تجنيد العربان فعصت عليه بعض قبائل الوجه القبلي كالجوازي وغيرها ورحلوا من وادي النيل الى الواحة الخارجة وطمعوا بخيلها ثم ساروا الى الداخلة وفعلموا كذلك . وارسل اليهم سعيد باشا حملة عسكرية ومعها المدافع وساعدته قبيلة اولاد علي فانكسر العربان وهرب من هرب منهم الى طرابلس الغرب حيث بقوا حتى عني عنهم واذن لهم في الرجوع وكان بين زعماء هذه الثورة الشيخ المصري احد رؤساء قبيلة الجوازي فصار اهالي الواحات يدعون تلك السنة بسنة المصري الى اليوم

ومن أسباب تأخر الواحات ابطال مسير القوافل من دارفور الى اسيوط بطريق الخارجة وقت الثورة السودانية ومن المحتمل ان التجارة على تلك الطريق كانت قد قلت كثيراً قبل الثورة بسبب الغاء الخجاسة

وفي الخارجة قرى كثيرة يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية آلاف وفيها نحو ستين الف نخلة ومثا بشر - وحيواناتها الاليفة الخيل والبقر والظن والمعزى وفيها من الطيور الداجنة الحمام والدجاج والديك الرومي ومن حيواناتها البرية الضبع والذئب والثعلب . وبنبت في ارضها القمح والشعير والارز والذرة والبرسيم والبامباة والمروخيا والشمام والبرنقال . والكرم قليل جداً فيها الآن بعد ان اشتهرت في الزمان القديم بجودة خرما . ويكثر فيها السنط والدوم وسنطها افضل كثيراً من سنط وادي النيل . ويصدر من حاصلاتها التمر فقط . اما الباقي فيستعمل فيها وهو اقل من الحاجة فيضطر الاهالي الى جلب باقي ما يحتاجون اليه من القطر المصري . ويشدئ موسم التمر عندهم في اغسطس وينتهي في يناير وفي هذه الاشهر تكثر المواسلات مع وادي النيل لكثرة تردد تجار التمر . ويصعب معرفة عدد الجمال التي تحمل التمر سنوياً منها الى الوجه القبلي وقد قدره بعضهم بين الف وخمسمائة جبل والتي حمل . واهالي الخارجة فقراء وكثيرون منهم يأتون سنوياً الى القطر المصري للعيش ثم يرجعون الى اوطانهم مدة موسم التمر وتمتد الواحة الداخلة من الشرق الى الغرب وهي اصغر من الخارجة وأكثر سكاناً وصادرات وسكانها سبعة عشر الفا وفيها نحو ١٣٠ الف نخلة وما يتيف على خمسمائة بشر . وحاصلاتها مثل حاصلات الواحة الخارجة وفيها ايضاً الصفصاف والكرم والزيتون . وعدد الجمال التي تنقل منها التمر سنوياً يربو على الفين ويصدر منها ايضاً البقر الى الواحة الخارجة والى بلاد الريف رغمًا عن بعد المسافة . ويصنع الخزف في بلدة القصر وكذلك عرق البلج وفيها معصرة للزيت وانوال للعيادة . واهالي الداخلة أكثر ثروة من اهالي الخارجة ويعتمدون في معاشهم على مواشيهم وغلات ارضهم أكثر مما يعتمدون على التمر

وهواء الواحات حار جداً في الصيف ولا سيما عند هبوب ريح السموم ومعتدل في الشتاء تختلف حرارته من ٧٥ درجة فارنهایت في نوفمبر الى ٥٠ درجة فارنهایت في يناير . وهو جاف جداً . وتكثر فيها الحميات في الصيف والحريف فيموت بها كثير من السكان

وأكثر الآثار القديمة في الواحة الخارجة وهي هياكل مصرية بنيت مدة حكم الفرس ( ٥٢٢ - ٣٣٦ ق م ) وهياكل أخرى بنيت في مدة حكم اليونان والرومان ( ٣٣٢ ق م الى ٦٤٠ بعد المسيح ) وقلاع رومانية وكنائس وقبور مسجدة وآبار ارتوازية . وعلى هذه الآثار

كتابات وصور كثيرة قرى بعضها والبعض الآخر لم يقرأ بعد . وهم الهياكل المصرية ديكل هيبس شرع في بنائها داريوس الاول ملك الفرس واتفق داريوس الثاني في القرن الخامس قبل الميلاد وهو الوحيد الذي بنى من الابنية العمومية التي اقامها الفرس مدة دولتهم في مصر وطول هذا الهيكل اربعة واربعون متراً وعرضه ١٩ متراً وحوله ثلاثة ابراج لابوابه وهو مبني بالحجر الرملي . والهياكل الرومانية عديدة ومتفرقة في الواحة الخارجة واكثرها ينتهي تاريخه الى القرن الثاني والثالث بعد المسيح . وحول بعض هذه الهياكل آثار المدن التي كانت قائمة في ذلك الوقت وكان هناك مدن كثيرة غيرها دُمرت وغطت الرمال اتقاها ولم يبق منها الا قطع خزف وآثار مجاري قديمة لبياء تدل على انها كانت آهلة بالسكان وفي الواحة آثار قلاع رومانية وابراج للاستكشاف وكلها في شمالها على الطريق الموصل الى القطر المصري

ومن اهم الآثار في تلك الجهة مدائن المسيحيين القدماء على اربعة كيلومترات شمالي بلدة الخارجة وقد اعجب بحيال بنائها جميع السياح الذين زاروا الواحات ووصفوها وصفاً مدققاً . وفيها نحو مئتي مدفن ببيتة بيوت بينها شوارع منظمة ومجموعها اشبه ببلدة محجورة منها بمدائن الاموات . وكلها مبنية بالطوب النيء ومختلفة الحجم فالكبير منها يحيط به اعمدة وقناطر والصغير مقبب وتحت القبة حفرة مربعة صغيرة يشعب منها عدة غرف . وداخل هذه المدائن مبيض بالجير وكان اصلاً مزيناً بالقرش ثم حيت وابدلت بكتابات عربية . وقد سلم احد هذه المدائن من الايدي الخربة فيرى فيه الناظر صوراً متقنة حوالي القبة وتحتها اسماؤها باليونانية منها صورة آدم وحواء وابراهيم واسحق وسارة ودانيال والاسود ونوح في السفينة وصور كثير من القديسين . وقد جاء في التاريخ ان الاسقف اسطورديوس بنى الى الواحات في القرن الخامس للميلاد فلا يبعد ان هذه الجبانة كانت مدفنًا لابائهم . ويستدل من اثواب المومياء التي شوهدت مختلطة بالعظام حوالي هذه الجبانة ان عادة تحنيط الموتى بقيت مدة طويلة بعد التاريخ المسيحي

غير ان اهم آثار الواحات التي يستفاد منها الى الآن ابار الارتوازية القديمة التي بدعواها الاهالي " العيون الرومانية " فان كثيراً منها مخفور في مرتفعات من الارض حتى يسهل جريان المياه منها الى الاراضي الواطية . وطرق رفع المياه تكاد تكون مجهولة تماماً في تلك الاصقاع خصوصاً في الواحة الخارجة ولم يشاهد السياح سوى ساقيتين او ثلاث وبعض الشواذب في الواحة الداخلة

وامالي الواحات كما لي على الغالب يكوون العمل وخصوصاً ما لم بالقوه من الصفر وهذا سبب فقرهم . فاذا ردمت بشر قديمة طنبوا من الحكومة ان تحفر لهم بئراً اخرى مع ان تطير البئر الاولى قد يكون اسهل واقل نفقة من حفر بئر جديدة . ولو اعطني الاهالي بحفظ الآبار القديمة سالمة من الردم وباستخدام الوسائل لرفع المياه ( وهي احياناً على عمق قليل جداً تحت سطح الارض ) لزادت اراضيهم الزراعية وتحسنت احوالهم كثيراً

والآلات حفر الآبار التي في الواحات بسيطة جداً اشته بالآلات المستعملة الآن في القطر المصري ويستعملون عوضاً عن الانابيب الحديدية انابيب من خشب السنط متقنة الصنع جداً لا تنفذ المياه جذرائها . ويظهر ان صناعة هذه الانابيب قديمة جداً في الواحات فان الانابيب التي في الميون الرومانية لا تزال في حال صالحة كما لو كانت قد صنعت حديثاً

وفي الواحات من المعادن النصفات وهو في الداخلة ولولا بعد المسافة لا يمكن نقله بسهولة الى وادي النيل والانتفاع به في تسميد الاراضي . وفيها ايضاً الشب والحجرة والمخ وقليل من الكوبلت والنكل ولكن الراجح ان هذه المعادن كلها موجودة بكميات قليلة لا تفي بنفقة استخراجها وقد يبحث جيولوجيو متلحة المساحة في مصر عن اصل الواحات وكيفية تكونها فذهبوا الى ان طبقات الارض تغير ترتيبها هناك في احد العصور الخالية لسبب طبيعي فانكشف كثير من الطبقات اللينة وتعرضت للرياح ففتتها وحملت ترابها وبذلك انخفضت الارض . ولا تزال الرياح في تلك الانحاء تفعل هذا الفعل الى الآن والواحات تزيد اتساعاً

نسيم بربري

## منزلة الشعر من التاريخ

﴿ ٣٣ ﴾ الحصون والآطام

كان العرب يستخدمون في البناء الشيد والاجر والقرميد قال النابغة الذبياني  
او دمية من مرمر مرفوعة بنيت بأجر نشاد وقومد  
وقد شادوا الحصون النبعة والآطام الراسخة كالخورنق والسدير وقصر غمدان واحفروا  
الآبار وكل ذلك قد جاء في شعرهم قال السموأل المشهور  
بني لي عاديا حصناً حصيناً وبشراً كلما شئت استقيت  
يشير بقوله هذا الى الابلق الفرد الذي دعاه لمتعته جبلاً حيث قال